الفصل الثالث

اليساريون واليمينيون

« على الرغم انهم متميزون بصورة ملحوظة باعتبارهم طبقة واحدة ، الا أن هناك ـ مع ذلك ـ رابطة سسيولوجية موجدة تجمع بين كل جماعات المثقفين ، هذه الرابطة هى « التعليم » ، وهى التى تجمعهم معا على طريق واحد لافت النظر • فالاسهام فى التراث التعليمى العلم يؤدى بصورة متقدمه الى القضاء على الفروق الخاصة بالميلاد ، والمكانة ، والمهنة ، والثروة ، فضلا عن انه يعمل على توحيد الأفراد المتعلمين على أساس التعليم الذى تلقوته » •

Karl Mannheim (n.d.) (1955), p. 155.

« ان كل جماعة اجتماعية لها نمطها المدرسى الخاص •• وهى تتجه نحو جعل وظيفتها التقليدية الخاصة تتسم بالديمومة ، كما أنها تنزع نحو الحكم أو الخضوع •• انه من الممكن أن نقيس السمة العضوية لمختلف الشرائح المثقفة ودرجة ارتباطهم بالجماعة الاجتماعية الأولية • »

Antonio Gramsci
(1971, pp. 40, 12)

obeikandl.com

obeikandl.com

لاجذور أم جذور ذات صلة بالواقع

Rootless or Seinsverbunen

ان السؤال المثار هنا هو : هل يقوم المثقف الحديث **بتطوير أفكاره السياسية** بصورة مستقلة نسبيا عن وضعه الاجتماعى ؟ أو **هل الموقع الاجتماعى** للمثقف **يحدد الطابع الخاص لأفكاره السياسية** ؟

فمنذ نصف قرن ، ومنذ أن نشر كارل مانهيم Mannheim مقالاته ولتى ضمنها مؤلفه المعنون « الأيديولوجيا واليوتوبيا » Ideology and Utopia ، أثار السؤالان السابقان اهتمام العلماء الاجتماعيين ، الا أنهم لم يصلوا الى أى اتفاق فى الرأى حول تلك القضايا ٠

ولقد أتسمت المناقشات التى دارت حول تلك القضايا بالوضوح والاعتدال ٠ ويلخص لنا مانهيم Mannheim ذلك بقوله ان مثقفى العالم **المعاصر لايشكلون طبقة ، ولاحتى جزء من طبقة ، ولكنهم بالأحرى أعضاء فى « شريحة اللاطبقة »** Classless strutum **التى ليس لها موقف ثابت** فى النظام الاجتماعى ٠ (Mannheim, n. d. (1955), p. 154) ٠ ان هؤلاء المثقفين ، قد يكونون ـ بوجه عام ـ محض تراكمات من مختلف الطبقات **الاجتماعية** ٠ وانطلاقا من هذه الخاصية نجد أن المثقفين يشتركون فى الوسط التعليمى العام Common educational milieu ، ومن هنا فان الاختلافات الطبقية (يعنى الاختلافات الطبقية بين المثقفين على اعتبار أنهم ينتمون الى عدد مختلف من الطبقات وليس الى طبقة واحدة ـ المترجم) والتباينات فى الرؤى التى ينتمون اليها ، فهذه الاختلافات وتلك التباينات عادة ما تختفى :

ومن الملاحظ أن افكار العمال واصحاب المشروعات entrepreneurs تحددها الأوضاع الطبقية لمؤيدى هؤلاء الافراد ٠ أما المثقفون فان رؤيتهم يتم تحديدها من خلال ما يسمى بالوسيط الثقافى الذى يتضمن كل وجهات النظر المتناقضة » ٠ (Ibid., p. 157)

حقا ان المثقفين قد يستطيعون الوصول الى مركب synthesis خاص بوجهات النظر الطبقية Class viewpoints ، ويمكن لهذا المركب ان يقدم حلا للصراعات التى تهدد المجتمع الحديث . ولقد استطاع مانهيم Mannheim أن يستخلص بصورة ملائمة كل مؤشرات النجاح الخاصة بما يسمى بالسياسة العلمية التى تتجاوز كل الخلافات .

والآن ، فانه جدير بالاهتمام أن نلاحظ أن مانهيم Mannheim قد أثار هنا ـ فى الحقيقة ـ مناقشتين ، واعتمد على الدليل الخاص بالحدس العام لكى يسحب عن طريقه تصوره عن قضية اللاطبقية النسبية Relative classlessness وهذا الدليل قد أكده أمران : أولا : لقد أراد مانهيم Mannheim أن يبين أن المثقفين لايشكلون بأنفسهم طبقة ، ولكى يؤكد ذلك قال : ان المثقفين يتسمون بأنهم متمايزون بعضهم عن بعض ، بمعنى أنهم غير متجانسين Heterogeneous فى رؤاهم السياسية (Abid., p. 155)

ثانيا : أراد مانهيم Mannheim أن يشير الى أن المثقفين يتأثرون تأثرا طفيفا بأصولهم الطبقية ، ثم أكد على قدرة المثقفين على التوصل الى صيغة متجانسة homogeneous للرؤى الطبقية .

ولكن من الواضح أنه من غير المستطاع أن يعنى ذلك أن الاتجاهات السياسية Political attitudes للمثقفين يمكن أن تكون غير متجانسة ومتجانسة فى آن واحد simultaneously (يريد المؤلف أن يؤكد أنه رغم اشارات مانهيم الى أن المثقفين بلا جذور طبقية محددة ، ، الا أنه يتناقض مع نفسه حين يشير الى أن المثقفين غير متجانسين فى رؤاهم السياسية ، والى أنهم يتأثرون تأثيرا طفيفا بأصولهم الطبقية ، وأنهم قادرون على التوصل الى صيغة متجانسة للرؤى الطبقية ، وهذا يعنى فيما يرى المؤلف أن مانهيم يعترف بوجود الأصول الطبقية للمثقفين من حيث لايدرى ـ المترجم) .

ان احدى مناقشات مانهيم غير صادقة وغير حقيقية ، بينما الأخرى لتتسم بالصدق والواقعية ، وانى لآمل أن أجد تدعيما لقضية اللاطبقيه

ان المناقشة غير الصادقة (ويعنى بها القضية الأولى التى اثارها مانهيم والتى اكد فيها أن المثقفين لايشكلون بانفسهم طبقة ـ المترجم) تميل الى اليسر والسهولة ، ومن أجل ذلك فاننى أظن أن المثقفين ـ ليس خلال حياة مانهيم ـ يصبحون متجانسين سياسيا ولقد قام مانهيم بتطوير وجهات نظره فى هـذا الموضـوع بالنسبة لفيـمار (Cf. Geiger, 1949) الألمـانية Weimar Germany ، حيث اضفى على الانتلجنسيا المزقة سياسيا فى العصـر الحديث ميـلادا جديـدا • وربمـا قـد يكون معقولا أن نتصور أن مانهيم فى تطويره للجدل الذى اثاره كان مدفوعا بسـبب رغبته التواقة الى فكرة الكلية Wholeness ، وهى الفكرة التى لعبت دورا فى صياغة كل الحياة الفكرية الألمانيه خلال هذا الوقت من الأزمة(Gay, 1968, pp.70-101 ; Meja, 1975, p. 57) ولم يكن السبب فى أن يقـوم ما نهيم Mannheim بتطوير افكاره راجعا الى أن هذا الجدل قد استطاع ـ بصورة مناسبة ـ أن يصف الواقع الاجتماعى ، هذا الجدل كان مجرّد أمل لم يرق الى مستوى الواقع • وعلى الرغم أن فيمار Weimar تمثل لاشك حالة متطرفة، الا اننا يمكن أن نعتقد منذ الوهلة الأولى أن بعض السلطات يمكن أن تجبر المثقفين على أن يسيروا وفقا لخط معين ، لاسيما عندما يكشف هؤلاء المثقفون عن مستويات عليا ـ أو حتى ضئيلة ـ من الانسجام أو التجانس السياسى Political homogeneity

ان السمة البـارزة للمثقفين هى اذن عـدم التجانس السـياسى Political homogeneity ولكن قبـل أن نؤكـد أن هـذا يضيف وزنا ـ أولا يضيف ـ الى دعوى مانهيم Mannheim الخاصة باللاطبقيـة النسـبية للمثقفـين Intelectuals relative classlessness دعونا أولا أن نقبل هذا مؤقتا من أجل المناقشة والجدل ، واذا أخذت هـذه الدعوى فى صورتها المتطرفة ، فانه من المتوقع أن يكون لها **نتيجة هامة هى :**

---

* مقاطعة المانية كانت منبع المفكرين والمثقفين الألمان وهى تنتمى الآن الى المانيا الشرقية •

انها تلغى الافتراض الاساسى بعلم اجتماع المعرفة Sociology of Knowledge واعنى بهذا الافتراض أن الفكر فى بعض حالاته ، وفى بعض درجاته تتسم صياغته عن طريق الوضع الاجتماعى للمفكر Thinkeres social Position . ولكن السؤال هنا : اذا لم يحتل المفكر وضعية خاصة فى النظام الاجتماعى وبالتالى لاتكون ـ لهذه الوضعية ـ من الناحية الاجتماعية مصالح متميزه ، فكيف يمكن لأفكاره أن تتحدد اجتماعيا ؟ وقد يعترض البعض على اساس أن مانهيم نفسه لم يفترض وضعا متطرفا لمفهوم اللاطبقية النسبية للمثقفين، ان هذه الرؤية تعنى ببساطة أن افكار المثقفين ذات تحديد طبقى ضئيل بالمقارنة بأفكار الآخرين (House, 1977). ولكن ما أود أن اؤكده هنا ـ بصفة خاصة ـ وهو أمر حقيقى ، أن كثيرا من الدارسين قد أخذوا المناقشة التى أثارها مانهيم Mannheim بصورة مغالى فيها ، حيث نظروا الى ما يسمى باللاجذرية الاجتماعية Social rootlessn للمثقفين بشكل متطرف . وترتيبا على ذلك فان البناء الخاص بنظرية الشقاق الأيديولوجى بين المثقفين Ideological divergence البناء القادر على الاجابه على السؤال الخاص بالسبب فى انسام المثقفين ليديولوجيا وذلك اعتمادا على وجهة النظر الخاصة بالعلاقات الاجتماعية التى يندمج فيها هؤلاء المثقفون . وهكذا تطورت هذه النظرية بصورة كاملة .

وفى الحقيقة ، ان احتمالية المدخل البنائى Structural approach لفهم هذه المشكلة (مشكلة الشقاق الايديولوجى للمثقفين – المترجم) قد خرج من الأيدى . وهكذا فان دافيد كوت Caute (1964, pp. 17-19) الباحث وموجه اليسار الأوربى قد كتب دراسته عن المثقفين والشيوعية يقول : Intellectual and French communism

« هناك شك طفيف حول المدخل السسيولوجى للشيوعيه باعتباره مدخلا محدودا للغاية عند تطبيقه على المثقفين ، لقد كان هذا المدخل ذا فاعليه عندما كانت هناك أهمية أساسية لتحليل السلوك البروليتارى ، وسلوك الفرويين . ان مهمة المثقف تتحدد فى محاولة طمس الفروق الطبقية Class differences . ومن ثم يعالج أسلوب حياته منتميا بصفة

الى الطبقة المتوسطة middle class ، او كما يفضل البعض ... يصبح بلا طبقة classless ... وعلاوة على ذلك يبقى السلوك الخاص بالاندماج أو الولاء السياسى political affiliation اقتناعا ذاتيا ، او اتجاها نفسيا ، او اختيارا شخصيا . »

وعلى أية حال فان كوت caute كان وحيدا فى النظر الى قضية مانهيم الخاصة باللاطبقية classlessness بصورة مغالى فيها ، ومن ثم فقد أراد كوت caute أن يقدم تحليلا للاندماجات السياسية للمثقفين فى ضوء بعض الاصطلاحات النفسية دون ضجر من الاشارة الى طبيعة المدخل الاجتماعى البنائى ، وهو المدخل الذى يتسم بصعوبة الدفاع عنه .

اننى لأشعر بأن مانهيم Mannheim نفسه قد أصيب بخيبة أمل نتيجة لتلك الاستخدامات المختلفة لفكرته (يعنى فكرته عن اللا طبقية النسبية الخاصة بالمثقفين ـ المترجم) ، وهو الذى كده شلومو آفينيرى Shlomo Avineri (1957, p. 277) عندما كتب يقول « ليس هناك حتمية قبلية Apriori determination للأفكار ، وهذا الاختيار هو تجسيد **للوجود الاجتماعى للمثقف ، ان المثقف ربما يضيف صوتا للصورة السائدة عن لا جذرية المثقف** Intellectual rootless **، فضلا عن تحرر رؤاه السياسية من الضغوط الاجتماعية » .**

وعلاوة على ذلك ، وبعد مؤلف مانهيم عن الأيديولوجيا واليوتوبيا Ideology and Utopia بسنوات قليلة (وفى ضوء التفسيرات . الخاطئة والنقد الخطير لذى وجه ضد قضية اللاطبقية) ، شعر مانهيم نفسه بضرورة أن يخفض من حدة مناقشته ونغمتها ، الأمر الذى حثه على استخلاص تحليل مقترح للعلاقة بين نماذج الحراك الاجتماعى للمثقفين Intellectual's social mobility ، وتوجيهاتهم الأيديولوجية Ideological Orientations ولقد لاحظ مانهيم أن المثقفين يتحركون الطبقة الدنيا Lower class الى الطبقة العليا Upper class ، وهى طبقة مفتوحة ، وهى أيضا شريحة متاحة تتجه نحو التعبير عن الفلسفة الفردية والبطولية للنجاح Individualitic and heroic Philosophy of success.

ولقـــد اتخـــذ مانهيم Mannheim اتجاها مضيافا نحو الطبقة التى ظهر من خلالها المثقفون ، هؤلاء الذين تحركوا لأعلى داخل جماعة معينة ، ومثال ذلك ، مفكرو العصور الوسطى الذين أصبحوا جزءا من الأدباء النبلاء فى الجهاز البيروأراطى فى المجتمع الاقطاعى Feudal Society ، حيث مال هؤلاء الأدباء النبلاء nobilitas literaria الى التوحد الجديد مع الجماعة التى ظهرت ، والتى تحللت هى نفسها من طبقتها الأصيلة ، وقبلت التدرج الاجتماعى كما هو • وعلى العكس من ذلك نجد أن المثقف الذى تحرك أولا الى أعلى ، عندئذ نجده معوقا بنائيا structually blocked ، حيث تمنح له فرص وظيفية ضئيلة ، الأمر الذى يجعله يتجه لكى يصبح ذا نزعة راديكالية ، ومن ثم يظهر ميلا نحو الكفاح ضد الطبقة المنهارة declining class ، قـــد يسير خلال تطور معقد ، وهو التطور الخص بالأيديولوجية الرجعية • Reactionary Ideology (Mannheim, 1956, pp. 142 ff)

ورغم أن هذه التعميمات لم تكن لها الا قدرة محدودة على الانتشار ، الا أنها ذات اهمية خاصة هنا ، وهى أنها تشير الى الوعى الجديد لمانهيم Mannheim ، وهو الوعى الخـاص بالاسـاليب المعقدة التى يمكن للأوضاع الاجتماعية للمثقفين ان تعتمد عليها فى تشكيل الافكار السياسية •

ان هذه التعميمـــات تدعو الى التفكير المثمر عن وضـــعية المثقفين باعتبارهم ـ نسبيا ـ بلا طبقة • لقد أشار مانهيم الى انه فى الأصـــل لم يستخدم اصطلاح اللا طبقية النسبية للمثقفين Relative freischwebende Intlligenz دون أى تفكير خـــاص عن جمـــاعة مستقلة متحـــررة من أى ارتباطات طبقية Class Liaisons •• فالاصـطلاح يشير ببساطة الى حقيقة ذات بناء محكم مفادها أن المثقفين لايستجيبون للقضايا بصورة متماسكة كما هو الحال مثلا لدى استجابة الموظفين والعمال الذين يستجيبون لهذه القضايا بشكل متماسك • (Ibid, p. 106)

والمشكلة بالنسبة لهذه القضية هى أن مانهيم قد وضع ملاحظة تتعلق بالسمات الثقافيه Cultural Characteristics لجماعة (اختلافها الايديولوجى) ،

لكى يستخلص بعض الخصائص البنـائية Structural Properties للجماعة (افتراضه الخاص باللا طبقية النسبية) • ولكننا اذا أردنا ان نقدم صياغة لبعض القضايا الصادقة عن الخصائص البنائية لجماعة ما ، فاننا ينبغى أن نقوم بدراسة خصائصها البنائية ، ومن المنطقى أن دراسة السمات الثقافيه غير مرتبطة بهذا الغرض •

ومع ذلك ، فاننا اذا عرفنا دقة ملاحظة مانهيم Mannheim عن قضية الاختلاف الايديولوجى Ideological diversity للمثقفين كمـا أشـار مانهيم نفسه فى كتاباته عن : Post-ideology and Utopia (ما بعـد الايديولوجيا واليوتوبيا) ، فاذا أخذنـا بذلك فان الاوضـاع للمثقفين والتحركات التى تحدث فى البناء الطبقى ، من الممكن احصاؤها على الاقل بالنسبة للجزء المادى لهذا الاختلاف ، ونحن نعتقد أنه من المجدى عن نتنازل عن فكرة اللاطبقية ، وأن نوجه جهودنا **نحو بناء نظرية بنائية** عن عملية الـولاء أو لاندمـاج السـياسى Political affiliation للمثقفين • وعندئذ لا ينبغى أن يظهر التنوع الايديولوجى باعتبـاره نتيجة للاطبقية النسبية الخاصة بهم ، او نتيجة لما يسمى باللا جذرية rootlessness . ولكن هذا الاختلاف او التنوع الايديولوجى يجب أن يظهر باعتباره **دلالة على العلاقات المتنوعه والمعقدة والمتغيرة لغالبية الجماعات فى المجتمع (وليست على وجه اليقين علاقات طبقية)** •

ان من يستشعر نقصا فى التراث السسيولوجى عن المثقفين ينبغى أن يدرك أنه من المفيد بالنسبة لهذه القضية أن يتمعن فى تأملات الباحثين الذين تأثروا بالفكر الماركسى ، اكثر من اهتمامه بهؤلاء الذين تاثروا بفكر مانهيم • ونلاحظ فى الفصل الثانى أن هناك بعض الماركسين المعاصرين قد وجهت اليهم عاصفة من النقد على اساس **أنهم يضعون المثقفين – بصورة آلية – من بين أعضاء الطبقة العاملة** • واذا كان هذا الكتاب قد كتب لعقدين او ثلاث عقود مضت فانه من المهم أن نوجه النقد لغالبية الماركسيين الذين أكـدوا **ان المثقفين فى المجتمع الرأسمالى ماهم الا بورجوازية صغيرة** petit bourgeois

وذلك فى ضوء كل من أوضاعهم الاجتماعية ورؤاهم السياسية ·
ولم تنجح أى من هاتين الصياغتين فى أن تقدم لنا يد العون فى هذا المجال ، لفشلهما فى الادراك والفهم · ولكن **دعنا نفسر ذلك وهدنا : ان النزعة التى تميز المثقفين فى أغلب المجتمعات لى ان يجعلوا انفسهم ذوى صلة بالرؤى** السياســـية من مختلف الاتجـــاهات والالـــوان Stripe and hues

ولكن هناك بعض الماركسيين الذين يمكن اعتبارهم من الاستثناءات القليلة ، وهم من ذوى الحساسية الخاصة بالآخرين ، وهم يعدون أيضا من ذوى الرؤية أو اللون الواحد mono chromatic view فى انظر الى هـذه المسألة ·

ومن الاستثناءات الهامة بالنسبة للمفكرين الماركسيين ـ على الأقـل واحد ممن أعرف ـ هـو الماركسى الايطـالى انطونيو جرامشى Gramsci · لقد كانت هناك ظروف غاية فى الصعوبة مارست ضـغوطا على جرامشى Gramsci منذ بداية مسيرته الفكريه ، حيث أعاقت هذه الظروف تحقيق البلورة المكملة لهذه الأفكار · ورغم ذلك فان هناك مقالين لجرامشى همـا « المثقفون » · «The Intellectuals»، و « فى التعليم » «On Education» هنا ، نسببا فى احداث نوع من الاثارة بالنسبة للقضايا المختلف عليها هنا ، والتى تبارى فيها بعض الباحثين الماركسيين الآخرين ·

ولقد تضمنت مناقشة جرامشى ثلاثة أجـزاء رئيسـية هى : أولا : ان جرامشى قد كافح كى يؤكد أن لكل مجتمع جماعـات اجتماعية كبرى ، وهذه الجماعات تتطور وتعمل من نفسها على خلق قاعدة تمثل حشودا من من المثقفين من هـذه الجمـاعة التى يرتبط هـؤلاء المثقفون عضويـــا Organically · فمثلا البورجوازية الناشئة أو الصاعده Anascent bourgeoisie تتطلب أشخاصا قادرين على تزويد هذه البورجوازية بالوعى الذاتى ، اجتماعيا ، وسياسيا واقتصاديـــا Social, political and economic self-awarness ، فضلا ن انها ـ أى تلك البورجوازية الصاعدة

تتطلب أشخاصا قادرين على تنظيم المجتمع في الخط المؤيد لاتساع نطاق هذه البورجوازية ، ومن هؤلاء الأشخاص ، هؤلاء الاعضاء الذين ينقمون الى الأسر البورجوازية القادرين على استقبال النوعية المطلوبة من التعليم لا نجاز هذه الوظائف • (Cf. Gouldner, 1975-6, p. 6)

ثانيا : وبالاضافة الى دور هذه الجماعة الكبرى في خلق هؤلاء المثقفين المرتبطين بها عضويا ، فانها تعمل أيضا على خلق جماعة اجتماعية جديدة تجد بالفعل قاعدة تقليدية من المثقفين ترتبط بالجماعات الاجتماعية الأقدم • وتمتلك درجة معينة من التأثير الأيديولوجي Ideological influence على جميع الطبقات الاجتماعية •

وكما تتزايد قوة الجماعة الناشئة ، فانها تكافح كذلك لكي تستوعب المثقفين التقليديين The traditional intellectual ، وتعمل على هزيمتهم (Gramsci, 1971, p. 10) وهكذا ، فان تشكيل حزب الطبقة العامله Working class Party يمكن كلا من الصحافة والمدرسة من أن يساعد العمال من تحقيق النصر على المثقفين من البورجوازيه السابقة ، وذلك عن طريق الدعايه ، وخلق فرص العمل ، واتاحة الفرصة لتحقيق الاندماج السياسي • ثالثا : ان التكوين أو التشكيل الفعلي للوعي السياسي للمثقفين يقوم بصياغته – في بعض درجاته – الطابع الخاص بتعليم هؤلاء المثقفين : « فالمدرسة اداة يتم خلالها بلورة المستويات المختلفة للمثقفين » (Ibid)

وخلال المراحل التاريخية المختلفة نجد أن ايطاليا كانت تتميز بالمدارس الكلاسكيية والمهنية ، أما بريطانيا فكانت تميزها المدارس العامه ومدارس القواعد النحوية ، في حين أن المانيا وروسيا كانت تسود كل منهما المدارس الرياضية والمدارس التي تسمى Real schulen • أما كل من كندا والولايات المتحدة الامريكية فلقد تميزنا بكل من المدارس الخاصة ، والمدارس العامة • ان كل دولة من هذه الدول تزودنا بايضاح عن النظم المدرسية التعليمية ، وهو ما يطبعهم بمختلف أنماط الوعي الطبقي •
Class-consciousness

وفى الواقع ، اننى قد وضعت القضية وحصتها فى ضوء المناقشة مع العمل الأخير لمانهيم Mannheim ، ولقد قادنا جرامشى Gramsci الى معرفة أن : (١) البناءات الاجتماعية هى حالة دائمة من التدفق النامى (٢) المثقفين ينتقلون عبر هذه البناءات (٣) واكثر من ذلك ، فان بعض المثقفين يرتبطون بمختلف الجماعات الاجتماعية بدرجات مختلفة (٤) تعد الأفكار السياسية للمثقفين نتاجا لهذه الارتباطات · (٥) ان الطريق الذى تمارس هذه الارتباطات من خلالة تاثيرها لامكن التعرف عليه بسهولة ·

ولكننا ينبغى أن نقوم بدراسة : (ا) الأصول الاجتماعية للمثقفين Intellectual's Origins (ب) الطابع الجمعى للنظام التعليمى الخاص بالمثقفين (ج) الفرص التى تقدم للمثقفين من أجل تحقيق الارتباط المهنى والسياسى بمختلف الجماعات الاجتماعيه خلال مرحلة تعليمهم الرسمى او بعدها · ومن المؤكد ان عمليتى الاندماج واللا اندماج الاجتماعيين social affiliation and disaffiliation وهما عمليتان تتسمان بالتعقيد من المؤكد أنهما يقومان بتحديد الأفكار السياسية ·

ان أحد المهام الاساسية التى ينبغى أن تنهض بها تتحدد فى ضرورة تقديم هذه النظرية بصورة موجزة ، ولعله أيضا أمر ذو أهمية أن نحدد المعوقات الضئيلة التى تحول دون تحقيق التحالفات السياسية للمثقفين Intellectuals political alliances ، وذلك تأكيدا لصدق هذه المقولة · وبغض النظر عن المحاولات التى اجريت فى هذا النطاق ، فانه ينبغى أن يكون هناك تصور مبدئى عن هذه القضية ، لاننى اعتقد اننا اذا ما وضعنا أعمال بعض المؤرخين والعلماء الاجتماعيين فى سياقها النظرى ، فان تحديد فهمنا عن السلوك السياسى للمثقفين سوف يكون له ما يدعمه ·

الشـــقاق الأيديولوجـــى

Ideological Divergence

ولكى أضفى على دعواى وزنا وقيمة ، وهى الدعـوى التى تؤكـد أن المثقفين **ليسوا أشخاصا بلا جذور او بلاطبقية** ، فاننى أود ـ تحقيقا لذلك أن تكون لى أولا السيطرة على حق امتياز الفكرة الخاصة بالانشـــطار او الشقاق الأيديولوجى Ideological divergence ، ولعلنى أفكـر فى ذلك وفى ذهنى ذلك الشقاق القائم بين المثقفين الجمهوريين Republican (الجناح اليسارى) Left-Wing والمثقفين اللاجمهوريين Anti Republican (الجنـــاح اليمينى) (Right-Wing) فيما قبـل المانيـا النازية ـ Pre Nazi Germny ، كذلك فاننى أؤكد انه ـ فقط ـ عن طريق دراسة التغير الخاص باللاجذرية الاجتماعية يمكننى ـ بصورة ملائمة ـ أن أقـوم بتقدير هذا الانقسام الأيديولوجى · وانه لمن الممكن لذن أن نضع تمايزات أكثر مهارة من هذين الشطرين ، اليسار واليمين · ولعلنا نرى ـ وفقـا لذلك ـ أن هذه الاختلافات يمكن أن تكون نتاجا للاختلافات الخاصه بنماذج حراك المثقفين · Intellectuals' mobility patterns

ويمكننا أن نتتبـع مثقفى الجنـــاح اليمينى لدنية فيمار الألمـــانية Weimar Germany القرن الثامن عشـر ، عندما كان الأفـرد من غير النبـــلاء non-nobles يسعون نحو التقدم الاجتماعى الذى تحقق بفضـــل التعليم الذى كان يسـمح به مقدار مـا يتمتعون به من ثـروة ، ومن ثـم يستطيعون الحصول على الوظائف داخل البنـاء البيروقراطى أو الوظـائف المتعلقة بالنسق التعليمى أو النظم الادارية والكتابية ، أو يمكنهم الحصول على احد المهن الحره · وفى النهاية فاذا كل هذا يعمل على تشجيع ذرياتهم على أن يسلكوا نفس السبيل · وبانبثاق القرن التاسع عشر ، أصـبح

من الجلى أن كبار الموظفين الألمان German mandarinate كانوا يتشكلون من المستويات المختلفة التى تولدت عن السلف (Ringer, 1969, pp. 16-40) ولعل استخدام لفظ mandarinate هو استخدام يهدف الى وصف تلك الفئة التى تراكمت بصورة ذاتية ، ومالت الى التكامل ، وهم يشبهون فى ذلك الدارسين الصينيين القدامى . ولقد كان الشخص الألمانى ذى التعليم العالى ـ حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ـ مجرد خادم للدولة : وبسبب ذلك المستوى المعوق للتطور الصناعى فى المانيا نجد ان طبقة أصحاب الشركات والمشروعات لم تكن كافية لتحقيق الأزدهار وتدعيم فئة المثقفين ، كما هو الحال مثلا فى كل من انجلترا وفرنسا ، حيث كانت العلاقات تتسم بالاعتمادية الكاملة داخل النظام الملكى ، وهى علاقات كانت مدعمة للعلم بصورة كامله ... ولقد كان المثقفون يزودون هذا النظام الملكى بما يسمى بالشرعية النظرية Theoretical Ligitimacy(٢٢) ومن خلال هذا الأسلوب أضحى المثقف الألمانى منعزلا عن القرن الثامن عشر ، وعن الاصول البعيدة عند النبالة (يعنى انصول الطبقية الشعبية المنفصلة عن طبقة النبلاء ـ المترجم) ، كذلك أصبح هذا المثقف الألمانى أميل الى الحياد نظرا لارتباطه بصاحب عمله المنتمى الى الطبقة الملكية الأرستقراطية Royal aristocratic employer، ثم ينتقل هذا الى ذريته off spring حيث تحتل هذه الذرية وضعا مشابها لما كان يحتله آباؤهم كما أن هذه الذرية ليست لديها احساس واقعى بالارتباط بالطبقة الحاكمة للمجتمع .

ومع ذلك ، وبنهاية القرن التاسع عشر ، بدأت جماعة جديدة من المثقفين فى الظهور ، كدليل على الحقيقة التى تؤكد أن أقل من نصف طلبة الجامعة البروسية للعام الأكاديمى ١٩٠٢ / ١٩٠٣ كانوا ينتمون الى آباء من موظفى الحكومة (اداريون ، أساتذة ، مدرسون ، ضباط حربيون .. الخ) أو من كبار ملاك الأراضى . (Ibid., p. 60)

ومنذ اللحظة التى انتصف فيها القرن التاسع عشر بدأت فى المانيا ارهاصات التطور الصناعى السريع ، حيث تحقق نمو متقدم وازدهار ،

وتأثير متزايد للطبقة المتوسطة ، ثم بدأت الفئات التجارية والصناعية والبورجوازية الصغيرة Petit bourgeois فى التألق ومن ثم أرسلت أبناءها الى الجامعات ، وهو ما سوف نراه قريبا بالنسبة للمؤسسات التعليمية الأخرى التى سوف تتزايد أعدادها . ولقد تكونت انتجلنسيا الجناح اليسارى من الجمهوريين Republican Left Wing من هذه المؤسسات التعليمية .

وتدعيما لهذه المسألة ينبغى أن نقارن الأصول الطبقية لمجموعة من الأشخاص الرئيسيين الذين أحاطوا بصحيفتين من أكثر الصحف شعبية فى فيمار Weimar : **الأولى** ، الصحيفة اليسارية التى تسمى Die Weltbuhne **والثانية** الصحيفة اليمنية التى تسمو Die Tat . ولقد قام استيفان ديك Deak بدراسة خمس وسبعين شخصية ممن ينتمون لصحيفة Weltbuhne حيث وجد أن آباءهم كانوا ممن ينتمون الى البورجوازية التجارية والماليه والمهنية ، بينما كان آباء كتاب صحيفة Die Tat ممن ينتمون الى الوزراء المعارضين ، أو الى الضباط أو الموظفين المدنيين . ولعله من المفيد لكى تتكشف الرؤية بصورة جلية ان نقارن بين الأصول الطبقية لعشرة آلاف عضوا من أعضاء المؤسسة الأكاديمية ، وهم العدد الأكبر الذين مالوا الى السياسة اليمينية اللاجمهورية ـ Anti Republican Rightist Politics ، والأصول الطبقيه لعشرين ألفا من المثقفين غير الاكاديميين non-academic intellectuals الذين مالوا نحو اليسار . ولقد أشارت تلك الدراسة التى قام بها فولفجاج سور Wolfgang Suer لخمس قواميس تتعلق بالسير الذاتية التى تغطى فترة الفيمار Weimar ، **الى :**

« ان أعضاء المؤسسة الأكاديمية قد انحدروا من خلفيات تنتمى الى عائلات ضباط ، أو اداريين .. فى حين أن أعضاء الانتلجنسيا من غير الأكاديميين Non-academic intelligentsia من جهة اخرى كانوا فى أغلب الأحيان أبناء لهؤلاء الذين شاركوا بصورة ناجحة فى الثورة الصناعية . » (1972, p. 261 ; Cf. Dahrendorf, 1969, pp. 211, 278).

وبالاختصار ، فان المثقفين الذين تمت ولادتهم داخل فئة خدمت أو توحدت بالقوى الارستقراطية الملكية يتجهون اتجاها يمينيا ، ومن ثم يصبحون يمينيين Rightists فى نزعاتهم ، أما المثقفون الذين ولدوا داخل الطبقة المتوسطة المستقلة فلقد كانوا أميل ما يكونوا الى اليسار ، ومن ثم يصبحون يساريين Leftists فى اتجاهاتهم ٠

آن تلك المحاولة ترمى الى استخلاص أن الجماعة الاجتماعية ـ وهذا ينطبق على الحالات الأخرى المشابهة ـ ذات الجناح اليسارى والتى تخلق من خلالها المثقف ، هذه الجماعة تحفز المثقف لكى يكون أكثر ميلا الى الجناح اليسارى ٠

ولا شك أن عام ١٩٢٠ قد شاهد بداية ظهور الجماعة الثالثة من المثقفين الألمان ـ وهو زمن خلفية الأسرة البروليتارية ـ ولقد كانت هذه الجماعة الثالثة أكثر نزوعا نحو الارتباط باليسار الاشتراكى والشيوعى المتطرف المستقل ٠ (Sauer, 1972, pp. 266-7).

لقد نمت الجماعة الثالثة من المثقفين الألمان بصورة قوية ، ولعل ذلك يتأكد اذا ماعرفنا أن قمة المثقفين النازيين Nazi intellectuals قد تشكلوا من أعلى الفئات الاجتماعية فى كل من المانيا (الامبراطورية) والمانيا (الجمهورية) ٠
(Lerner With Pool and Schueller in Lasswell and Lerner, 1965, p. 208).

ولقد وجد كل من ليرنر Lerner وبوول Pool وشولر Schueller فى دراستهم عن تسع وستين مثقفا نازيا أن ثلثى هؤلاء كانوا ينتمون الى آباء من ملاك الأراضى Land-owners ، أو كانوا ضباطا حربيين أو من كبار الموظفين ، فى حين كان هناك سبع منهم يعملون فى التجارة ، ولم يكن لأى منهم اى خلفية بروليتارية ، وهذا ما اكدته المعطيات المختلفة ٠
(Ibid., p. 212)

وفى الحقيقة ، يمكننا ان نثق فى امكانية تعميم هذا الافتراض على حالات أخرى وذلك اذا ما قام أى باحث بدراسة بعض المعطيات الاحصائية الخاصة بالأصول الطبقية للمثقفين فى منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فى روسيا ، حيث تأكدت من خلال ذلك نفس العلاقة ٠ (انظر بصفة خاصة : Brower, 1972-3 ; Brym, Mosse, 1968)

ولكن مع ذلك ، فان محاولة تناول هذه المناقشة بعقلانيه هو فى الحقيقة مضمون القصة بأسرها ٠ وليس كثيرا على المتغيرات الاخرى ـ غير الطبقة ، ان تسر لنا الجزء الأكبر من تباين الاختلافات الأيديولوجية بين المثقفين ، مثل الأصول العرقية Ethnic ، والاصول الدينية ، فضلا عن الأصول الخاصة بالاجيال وترتيبا على ذلك فان هذه المتغيرات لاشك أن لها دورها المؤثر بالنسبة لعضوية الجماعات غير الطبقية Non-class groups ، الى جانب أنها تجعل الاشخاص يمتثلون لمعتقدات خاصة ورموز وقيم ، ولا شك أن كل هذا له تطبيقات سياسية خالصة (ومهما يكن فان مانهيم Mannheim n.d (1955) p. 276 قد ابلغنا أن الطبقة قادرة على تفسير اغلبية هذ التباين) ٠ ان المشكلة ليست فى أن هناك فردا من المثقفين لا يتخذ فى سلوكه نفس الأسلوب الذى حددته أجيالنا فى تصورها عما ينبغى أن يكون عليه السلوك ، فالمشكلة لاتكمن فى هذا لأنه ليس هناك فى العلوم الاجتماعيه افتراض يمكن بصورة معقولة أن يغطى كل الحالات الخاصة بهذه الظاهرة ، وتكون لديه القدرة على تفسير كل هذه الحالات ٠ ان القضية التى أود ان ابرزها هنا هى من طبيعة أخرى : لاشك أن محاولة ترمى الى تقسيم ماهية الانشطار الايديولوجى لتعد محاولة غير كملة اذا ما اهتمت فقط بالأصول الاجتماعية Social Origins للمثقفين ٠

ولقد قام كل من مانهيم Mannheim وجمارشى Gramsci باضافة لمسات تطويرية على هذه القضية ، حيث أكد أن المثقفين من الممكن أن يتحركوا اجتماعيا ٠ (وهذا يعنى أن الوضعية الخاصة بالمثقفين لا تتسم بالثبات والاستقرار ، وانما هى ذات طبيعه حركية متغيرة ، فيمكن للمثقف

ان ينتقل من طبقة اجتماعية الى طبقة اجتماعية اخرى ... وهكذا ـ المترجم) • ويؤكد كل منهما ان المثقفين يولدون داخل عائلات تتصف بالاندماجات الجماعية الخاصة ثم انهم يتلقون فيها الجرعة الأولى من التنشئة السياسيه political socialisation كما انهم ـ وعبر هذه الأسر ـ يتم تحديد مقومات هؤلاء المثقفين وفاعليتهم بصوره دقيقة من خلال الارتباط بهذه الأسر •

وهذا بالنسبة للجرعة الأولى وبعد مرحلة النمو نجد ان الروابط الخاصة باصولهم الجمعية الصارمة وصياغتهم لعلاقات جديدة مع جماعات اخرى تكسب هؤلاء المثقفين خبرات ثانوية بسيطة فانه يترتب على ذلك تغير طفيف فى التوجيهات السياسية الأساسية من التنشئة السياسية • واذا كانت المسافة التى تحرك خلالها المثقف لهذا المثقف ، أما اذا كانت المسافة التى تحرك خلالها المثقف تتسم بالكبر والاتساع ، فانه من المتوقع ان تكون هناك قيم سياسية جديدة قد أكتسبت ، بينما تتوارى القيم السياسية القديمة وتنسى (على الرغم ان القيم الجديده لا تتعلم بصورة جديدة ، بينما يطرأ على القيم القديمه ما يشبه النسيان •

ان احد الأحداث الهامة التى تطرأ على الشاب المثقف تتبلور فى تركه للتوجيه الأسرى وولوجه نطاق النظام التعليمى • وقبيل مغادرته اسرته ، كان الوضع الطبقى للمثقف محض اشتقاق للوضع الطبقى لوالده ، ولقد كانت ـ وفقا لذلك ـ آراء المثقف السياسية آراء يكتنفها الغموض ، رغم خضوع تلك الآراء للحقيقة التى اشرنا اليها • ورغم ان المثقف ـ فى المرحلة المدرسية ـ كان يحمل معه قدرا من تاثيرات خلفيته المبكره ، الا ان التاثيرات الجديده تلعب دورها بصورة جيدة • ورغم التحرر النسبى للطالب من العديد من الروابط الجمعية والمهنية والاسرية ، وهى الروابط التى تلعب دورها فى تشكيل الاتجاهات السياسية وصياغتها ، الا انه من غير الصواب ان نتغاضى عن **حقيقتين اساسيتين :**

الحقيقة الأولى : ان كثيرا من المؤسسات التعليمية ذات الانماط المختلفة

تستطيع أن تطبع طلابها بمختلف الأفكار السياسية المحددة (ان كثيرا من الدراسات الميدانية مثل دراسة Dowse and Hughes التي نشرت عام ١٩٧١ قد رات أنه فى بعض الحالات ـ وهذا عكس دراسة McQuail وآخرين التى التى اجريت عام ١٩٦٨ ـ **تكون المدرسة اهم جهاز للتنشئة الاجتماعية اكثر من المنزل) الحقيقة الثانية : ان المؤسسات التعليمية التى نحن بصددها تعمل بصورة هادئة فى ضوء وجهات نظر هؤلاء الذين يقومون على ادارة هذه المؤسسات ، كذلك فانه من المؤكد أن مضمون هذه الافكار هو انعكاس لمصالح هذه الجماعات التى تسيطر على هذه المؤسسات .**

وهكذا ، وبالعودة الى الحالة الخاصة بمدينة فيمار Weimar . نجد أنه قد حدث تغير طفيف فى الوسط السياسى Political milieu للطالب عند التحاقه بالجامعة ، ومثال ذلك الخلفية الخاصة بكبار الموظفين . وفى المنزل ، حيث كان والد هذا الطالب موظفا مخلصا بالمؤسسات التى تخدم الأهداف الأرستقراطيه ، ومن ثم كان هذا الوالد يحيط ولده ـ الطالب ـ بأفكار غير جمهورية Anti-repulican notions . أما فى الجامعة ـ حيث نفس النمط المؤسسى ـ فلقد كانت تفرض مثل تلك الأفكار .. ولكن كيف استطاعت الأفكار الجمهورية Republican Ideas ، اذن أن تنبثق داخل بعض دوائر المثقفين فى مدينة فيمار الألمانية Weimar Germany ؟ ان ظهور الأفكار الجمهورية يرجع ـ فقط ـ الى أن المؤسسات التعليمية فى مدينة فيمار Wiemar كانت مستقلة ماليا عن الدولة ، ثم أن التحكم أو السيطرة على هذه المؤسسات كان من نصيب جماعات غير ارستقراطية Non-aristocratic Groups : ومن الملاحظ أن غالبية الانجازات ذات الطابع التحديثى فى المسائل الاجتماعية ، وفى نطاق العلوم السياسية ، وفى علم النفس ، والفن ، والمسرح ، والهندسة .. الخ ، كانت تقع على عاتق كل هذه المؤسسات .. (Gay, 1968, pp. 38 ff., Jay, 1973, Neumann, 1953, p. 21)

ان الطلبة الذين تلقوا تعليمهم فى هذه المؤسسات (والذين هم على اية حال من ذوى الأصول البورجوازية ، وليسوا من ذوى الأصول الأرستقراطية

الحربية ، او الوظيفية لكبرى) يجدون أنفسهم أحرارا فى أن يطوروا أفكارهم السياسية بصورة مخالفة لمصالح كبار الموظفين والبيروقراطيين Bureaucrats أو الأساتذة والضباط • ومن الممكن أن نتصور ـ علاوة على ذلك ـ أن بعض المؤسسات التعليمية التى تسيطر عليها بعض الجماعات المنتمية الى الجناح اليسارى ، يتجه طلابها أيضا نحو نفس الجناح اليسارى ••

ومنذ أن يلتحق المثقفون المتعلمون فى بعض المؤسسات غير الجامعيه بالعمل فى نفس هذه المؤسسات ، أو فى بعض المؤسسات الصحفيه التى لاترتبط بالطبقات اليمينية فى مدينة فيمار Weimar ، بالعمل كصحفيين غير مرتبطين بصحيفة معينة ، هؤلاء المثقفون ـ عندئذ ـ يصبحون أكثر قدرة على احتضان أو تبنى النزعات اليسارية • ولعل هذا يقودنى الى القضية الثانية وهى قضية على جانب كبير من الأهمية ، تتعلق بعمليتى اعادة الاندماج الجمعى Group reaffiliation ، والتنشئة السياسية الثانوية Secondary Political socalistion للمثقف • وعندما يكمل هذا المثقف مراحل تعليمه ، ويخوض غمار العالم المهنى ، عندئذ يصبح عضوا فى طبقة اجتماعية أو جماعة عرقية ethnic Group ، ومن ثم يتبع ذلك تحديد لاتجاهه السياسى ، وهو التحديد الذى تشارك فى صياغته التأثيرات الخاصه بأصول هذا المثقف ونوعية تعليمه ، فضلا عن مشاركة البناء الخاص بالفرص المهنية فى تحديد اتجاهه السياسى ، وهى الفرص التى تحفز المثقف على الانتماء لاحدى الطبقات او الجماعات •

ولعل الموقف الخاص بالمثقفين اليهود الالمان ـ German Jewish Intellectuals فى الحقبة الخاصة بمدينة فيمار Weimar يكشف لنا ـ بصورة جيدة ـ عن كيفية اسهام ما يسمى بالفرص المهنية فى عملية التنشئة السياسية ، ولذلك فانه يبدو واضحا أن اليهود قد اضحوا يساريين Leftists بصورة تتجاوز حقيقة الأصول التى ينتمون اليها ، ونوعية التعليم الخاص بهم •• ومن المؤكد أن الجماعة اليهودية ذات المستوى الحضرى المرتفع ، كانت تركز اهتمامها فى مجالات التجارة والحرف المهنية ، فاذا أخذنا

هذا فى اعتبارنا ، فلسوف نجد أن النسبة الخاصة باليهود المشاركين فى هذه المجالات كانت مرتفعة بصورة لافتة · ولقد كان اليهود يمثلون نسبة ١٪ من سكان المانيا قبل الحرب العالميه الثانية ، الا أنهم كانوا يشكلون الغالبية العظمى من كتاب صحيفة Weltbuhne ، ويمثلون نفس الغالبية كاعضاء فى المعهد اليسارى الذى كان ـ يسمى Institute Für sozialforscfung (مدرسة فرانكفورت) ، كما كانوا أيضا أعضاء فى عدد من الأنشطة الثقافية للجناح اليسارى · وعلاوة على ذلك فلقد كان اليهود يمثلون ١٠٪ من نواب الحزب الاجتماعى الديمقراطى الألمانى المنتخب (الرايخ) German social Democratic Party's elected Reichstag deputies وفضلا عن ذلك فلقد كانت هناك نسبة عالية من هؤلاء اليهود من المثقفين)· واللافت أن كثيرا من القيادات الثقافية للحزب الشيوعى الألمانى Communist party of Germany كانوا من اليهود ، كذلك كانت الجماعات السياسية المذهبيه اليسارية الصغيرة تتشكل من اليهود ·

(Deak, 1968, p. 24; Jay 1973, p. 31 ; Laqueur, 1976, p. 72)

ورغم أن كثيرا من المثقفين اليهود كان غير اشتراكيين ، الا أنهم كانوا الليبراليين مناصرين للجمهورية ·

Pro-rupublican Liberals (Mosse, 1964, p. 36)

ولعلنا لانتجاوز الحقيقة اذا ما صرحنا **أن اليهود قد عملوا على خلق الجناح اليسارى لحركة المثقفين فى المانيا ·**

(Deak, 1968, p. 29)

ومن المؤكد أن لهذا الانغماس اليهودى فى الحركة اليسارية ـ وهو ذو نسبة عالية ـ قدرا ضئيلا من الدلالات الثقافية ، وهو الأمر الذى لاحظه أرنولد توينبى Arnold Toynbee وآخرون بين النزعات الخاصة بالنبوة والنزعات ذات الصلة بما يسمى بالمسيح Prophetic and Messianic impulses من ناحية ، والنزعات السياسية اليسارية من ناحية أخرى ·

أولا : ان كثيرا من أصحاب الاتجاه اليسارى من اليهود قد نجحوا فى تمثل الثقافة الألمانية ، فضلا عن قدرتهم على استيعاب الكثير من الفكر الدينى اليهودى ٠

ثانيا : وحتى اذا كان اليساريون من اليهود لديهم اصطلاحات ذات طبيعية راديكالية من **الوسط الدينى اليهودى** ، الا أن التكيف أو المهادن مع السلطة يعمل على استئصال كل هذه التعبيرات أو الاصطلاحات الراديكالية ٠ ومع ذلك فالأسباب البنائية : وضعت ـ ببساطة ـ النزعة المناهضة للسامية Anti Semitism كأحد الموانع التى تحول دون تحقيق عملية تكامل المثقفين اليهود مع المهن ذات الطابع الرسمى ، أو الارتباط بالدوائر الحاكمة التى تأخذ عمليه تربية اليمينيين على عاتقها ٠ ولقد لاحظ فريتز رينجر (Ringer 1969, p. 136) **أن أسلوب التمييز الذى يمارس ضد الطلاب اليهود :**

« يحرم هؤلاء الطلبة من كثير من الوظائف الرسمية التى تجذب زملاءهم من غير اليهود Non-Jewish ٠ **وكنتيجة لذلك فان الموهبة اليهودية** Jewish talent **تتخذ من المهن الحرة كالطب والقانون والصحافة ، والادب والفن مجالا تسير فيه »** ٠

ولا يرجع السبب فى كون مثقفى اليهود ذوى انتماءات يسارية الى البناء السانى أو الطبقى للمجتمع اليهود ، ولايمكن ارجاعه لأى نزعة ثقافية تقودهم الى هذا الاتجاه اليسارى ، ولكن السبب يكمن ـ وبصفة أساسية ـ **فى البناء الخاص بفرص التوظف أو العمل** Structure of employment فى مدينة فيمار Weimar وهى الفرص التى تحرمهم من حق ولوج الوسط المهنى اليمينى ومحاولة اعادة تنشئتهم داخل هذا الوسط ٠

وفى محاولتنا لتقويم الظاهرة الخاصة بحراك المثقفين اجتماعيا ، ينبغى أن نؤخذ فى الاعتبار البناء الخاص بالفرص السياسية التى تتاح لهم فى بيئاتهم ٠ دعنى أفسر ذلك ، فمثلا فى مدينة فيمار Weimar نجد أن بعض مثقفى هذه المدينة قد انضموا الى الحزب الديمقراطى الاجتماعى SPD ، بينما

انضم آخرون الى الحزب لشيوعى KPD Communit Party وفى عام ١٩٣٠ كان حوالى ٩٧٪ من الأعضاء السبع والسبعين للحزب الشيوعى قد تـــم انتخابهم فى الرايخ Reichstag ، وكان هناك ٤٨٪ فقط من مائة وثلاث وأربعين عضوا من الحزب الديمقراطى الاجتماعى لم تبلغ أعمارهم الخمسين عاما • أما متوسط العمر بالنسبة لأعضاء الحزب الشيوعى فكان يتراوح مابين الثلاثين والأربعين عاما ، فى حين كان متوسط أعمار أعضاء الحزب الديمقراطى فلقد كان يتراوح مابين الخمسين الى الستين عاما •
(Hunt, 1964, p. 89)

وتعكس لنا هذه الملامح تلك الحقيقة التى تذهب الى أن مثقفى الحزب الشيوعى KPD كانوا يمثلون الجيل الأكثر شبابا مقارنة بمثقفى الحـزب الديمقراطى SPD ، وهو الأمر الذى طبع مثقفى الحزب الشيوعى بمجموعة فريدة من الخبرات التاريخية ، وهى تلك الخبرات التى دفعتهم نحو اليسار •
(Cf. Mannheim, 1952)

« لقد نموا وقت الحـرب ، وفى زمن عـدم الاستقرار الاجتماعى ، ولقد انهارت القيم التقليدية ، كما ان التضخم Inflation والبطالة قد حرمتها من فرصة المستقبل الآمن • وفى ظل هذه الظروف كلها كانت النزعة الاصلاحية للسياسة الديمقراطية ذات جاذبية بالنسبة لهم • »
(Hunt, 1964, p. 107)

ولكن ، واحتكاما لتحليل رينتشارد هنت Hunt ، نرى ان الأصل الجيلى كان عاملا ذا اهمية ثانوية فى التمييز بين جماعتى المثقفين (يعنى مثقفى كل من الحزب الاجتماعى ، والحزب الشيوعى ــ المترجم) •

وفى مؤلفة « الأحزاب السياسية » Political Parties ، قام ميتشيل Michels بتحليل ظاهرة التحجر Pertification بالنسبة للحـــزب الديمقراطى الاجتماعى SPD قبيل الحرب العالمية الأولى ، حيث اشار الى ان هذا التحجر كان فى الصحوه نحو تملك الفازى للقوة • ومن ثم فلقد كانت

هناك ثلاث كلمات استطاعت أن تصف – بصورة جيده – ذلك التطور الذى طرأ على الحزب الديمقراطى الإجتماعى SPD ، وهذه الكلمات هى : النزعة الرئاسية (Verbonzung) bossification والتحول نحو الضعف (تحول الشىء الى عظم) Ossification (Verkalkung) . وبالنسبة لأهدافنا الحالية ، فنرى أن أحد الظواهر الهامة لهذه العملية كانت تتحدد فى وجـــود الزام دائم ومتزايد فى الحزب الديمقراطى الاجتماعى SPD نحو القيـــادة القديمة . ولقد سمحت السيطرة الأوليجاركية للرؤساء الحزبيين أن يظلوا فى الادارة حتى بعد أن وصلوا الى مرحلة الكبر ، فى حين أن ظهور القيادات الجديدة قد صادفتها معوقات حالت دون ظهورها . ولقد تساءل هنت Hunt « ما الذى يحث بالنسبة للشباب الذين أنبثقوا – بصفة طبيعية – خـلال الديمقراطية الاجتماعية » ، والاجابة على هذا التساؤل قد تحددت فى أن هؤلاء الشاب كانوا ممن ينتمون الى الحزب الشيوعى ! (Ibid., p. 90)

أما فيما يتعلق بشباب الحزب الديمقراطى الاجتماعى SPD ، فلقد ظهـــر عندما بدأت جماعات شباب الاشتراكية المنظمه تظن تهديدها فى نها سوف تجعل لنفسها نمو وكيانا خارج نطاق الحزب ، لدرجة أن أحد كبار قادة هذا الحزب قد اعلن انهم – أى كبار القدة – كانوا تحت سيطرة هـــؤلاء الصغار من الشباب . Ipid. ,p. 108 . كما أشار أحد المثقفين من الشباب الى ان :

« التطور الهادىء الذى تم فى الرايخ لم يكن ممكنا الا بمساعدة القادة الحاليين . ومع ذلك فان هـــذه المساعدة لم تتحقق سواء بالنســبة لعملية أو بالنسبة للمعاملة الرسمية الراكدة بالنسبة لهؤلاء الذين لاينتمون للرايخ ، ان كل شخص مبتدىء كان يبحث عن كيفية الارتباط بالقمة ، وذلك عن طريق تقوية السيطرة الهادئة الخاصة بالتدرج المميز للرايخ . »

(Julus Leper, quotedin Ibid., p. 90)

ولعل الفشل الذى منى به العديد من المثقفين الاشتراكيين الشـــباب

وعدم قدرتهم على الظهور على البناء الخاص بالحزب الديمقراطى SPD قد حثهم على تشكيل حركة ديمقراطية جديدة أكثر راديكالية باعتبارها البديل الوحيد لهذا الفشل .

ولقد تمت لموسكو السيطرة الكاملة فى عام ١٩٢٠ على الحركة الشيوعية الألمانية حتى اللحظة التى انبثقت خلالها الحركة الديمقراطية الراديكالية للمثقفين الاشتراكيين . ولقد أشار جرهارد باسلر Bassler الى أن « أن الشيوعيين الألمان فى هذه الفترة قد كشفوا عن أن اتجاههم الثورى كان يلتهب عندما يجدون أنفسهم محاصرين من خلال التحكم البيروقراطى والنزعات الأوليجاركية » . (1973, p. 230)

والآن نلاحظ أن مختلف الأحزاب السياسية ترتبط بمختلف الطبقات الاجتماعية ، فضلا عن مختلف الجماعات الاجتماعية فيما عدا الاستثناءات . ولعله أمر لايثير الدهشة أن نجد ـ وفقا لذلك ـ أن عضوية كل من الحزب الشيوعى KPD وعضوية الحزب الديمقراطى الاجتماعى SPD يختلف بعضهما عن البعض الآخر بصفة أساسية ، فالحزب الديمقراطى الاجتماعى يتشكل من العديد من الفلاحين ، ومن الحرفيين المستقلين ، ومن أصحاب المحلات ، فضلا عن الموظفين من أصحاب الياقات البيضاء White-Collar employee ، والعاملين المدنيين ، وأكثر من ذلك لقد كان هذا الحزب SPD يتشكل أيضا من العمال من ذوى المهارات العالية بصورة أكثر من الحزب الشيوعى KPD الذى كان مرتعا للعمال الراديكاليين غير المهرة .
(Hunt, 1964, pp. 104-6).

وهكذا وجد مثقفو الحزب الشيوعى KPD أن نزعتهم المتطرفة قد عززتها الشريحة الاجتماعية الأكثر ميلا الى الجناح اليسارى الراديكالى Radical Leftwing Social Stratum فى مدينة فيمار Weimar ، بينما وجد مثقفو الحزب الديمقراطى SPD أن العمال المهرة الأقل راديكالية وأعضاء الطبقة الوسطى القديمة ـ فضلا عن الجديدة ـ الذين ينتمون الى هذا الحزب ،

قد قاموا جميعا بتدعيم النزعة الاصلاحية Reformism لمثقفى هذا الحزب SPD .

لقد ظن الجميع أن الجماعة ذات الميول اليسارية والتى تحرك المثقف نحوها اجتماعيا ، هى فى نفس الوقت ذات الجماعة صاحبة الميول اليساريه والتى انحرف عنها المثقف . ان الافتراض يعنى أن طابع الأفكار السياسية للمثقف يعد بصفة جزئية نتاجا للمتطلبات التى تضعها او تلقيها الجماعات الاجتماعية الكبرى على عاتق المثقفين الذين يرتبطون بها سياسيا : ولاشك أن هذا يشير ـ فى عبارة أخرى ـ الى أهمية العناية بدراسة الكيفية التى تسهم من خلالها التباينات الخاصة بالحركات الجماهيرية فى تعيين التباينات التى تحدث فى الطابع الخاص بايديولوجيات المثقفين .

(Cf. Weiss, 1963)

ومرة أخرى ، فاذا ماحاولنا ـ باختصار ـ أن ندرس حالة المثقفين الروس قبل الثورة فسنجد انفسنا مساقين الى الاعتقاد بأن هذا الافتراض له استخدام منخفض وراء الحالة الألمانية . فكما هو معروف أن مثقفى المناشفة Mensheviki اقل راديكالية من مثقفى البلاشفة Bolsheviks ، فمثقفو المناشفة يرون أن الهبات الثورية البورجوازية يمكن أن يحققها ائتلاف الطبقات الوسطى والعمالية معا ، فى حين أن المثقفين البلاشفة الذين يقودون الثورة الاشتراكية يعتمدون على العمال والفلاحين . ولاشك أن هناك عوامل متعددة يمكن أن يعزى اليها هذا الانقسام فى الآراء . ولكن واحدا من هذه العوامل يستحق منا اهتماما خاصا . فعندما اتجه المثقفون من المناشفة الى حشد أنفسهم فى الحركة الثورية فى أقاليم الامبراطورية ، حيث كان العامل أكثر تحضرا ، بينما نجد ان البلاشفة كانوا أكثر اتصالا بالاقاليم ، حيث كان العامل مازال أكثر راديكالية من الفلاح ، وهكذا ، فعندما أصبح هناك تنظيم فعلى ودعائى بين العمال ، فان هذا قد دفع البلاشفة الى الاتجاه الى الأقاليم ، مثلما بدأوا قبل خمس عشر عاما من قيام الثورة ، فى الكشف عن مجموعة متآلفة من القوى الطبقية التى ساعدتهم على الاطاحة بالنظام .

(Brym, 1978 b, pp. 65-72 ; 104-8)

ولقد كانت راديكالية البلاشفة المتطرفه ـ مثلها مثل راديكاليه الشيوعيين الألمان فى عامى ١٩١٨ ـ ١٩١٩ ـ قد تشكلت من خلال البناء الخاص بالفرص السياسية المتاحة فى بيئاتهم ٠

ولننى لأعتقد أن هذه الملاحظات البسيطة والموجزة استطاعت أن تلخص ـ بصورة عادلة ـ هذه القضية والتى اكدت ان افكار المثقفين الألمان فى مدينة فيمار Weimar كانت محددة وجوديا existentially determined (Seinsverbunden) من خلال الروابط الاجتماعية المتغيرة الخاصة بالمثقفين ٠ ولقد لاحظ احد المثقفين مؤخرا نه « بعيدا عن الملاحظة الحرة لقد كان البعض يلاطفنا ويتملقنا ويحثنا » (Pachter, p. 253) بيد أننى ارغب فى ان اضيف انه عن طريق القوى الاجتماعية المسئولة عن ملاطفة المثقفين وتملقهم Coaxing ودفعهم داخل مختلف الجماعات الاجتماعية ، نستطيع فقط عن طريق هذه القوى ـ ان نفهم ـ بصورة كامله ـ لماذا كان المثقفون فى مدينة فيمار Weimar ، وفى اى مكان آخر يؤمنون ويسلكون ، كما تؤمن تلك الجماعات أو تسلك ٠

من غير المتعذر اذن ان نكرر أن هذا المدخل الذى استخدم لتحليل ظاهرة التحالف السياسى للمثقفين ، كما حددناه من قبل ، لم يكن استخدامه هذا بصورة واسعة النطاق ٠ ولكن مازال كثير من المؤرخين والعلماء الاجتماعيين يصرون على تبنى هذا التصور الخاطئ الذى يذهب الى **ان المثقفين هم افراد بلا روابط اجتماعية** ، حتى والتراكير Walter Laquer (1976, pp. 78-80) ذلك الباحث المحترم تصور ايضا ان مثقفى مدينة فيمار Wimar ممن ينتمون الى الجناح اليمينى كانوا اشخاصا مقطوعى الجذور Uprooted ٠ ولكن اذا لم تكن هذه الرؤية الخاصة بالمثقفين [يعنى المدخل البنائى ـ] قد انتشرت بصورة واسعة، فان هذا لايكون مدعاة لكى يفترض الباحثون فى « مسألة » المثقفين ان ظاهرة الانشطار أو الشقاق الأيديولوجى لايمكن ـ ببساطة ـ أن تفسر بنائيا ٠ ومن المؤكد ان لويس كوزر Coser كان مخطئا عندما قرر (1972, pp. 190) **انه :**

« لا يخدم بشكل ذى فائدة هدفنا الخاص بالتمييز بين اللينيين Leninsts والمناشفة Menshivists اذا ما اعتمدنا على الأصل الاجتماعى ، سواء اختار الفرد أن ينحاز تجاه واحد أو آخر من الأجنحة (السياسية ـ المترجم) اعتمادا على الظروف الخاصة (التى تم يحددها كوزر ـBrym) ، او اعتمادا على التوجيه الأيديولوجى (الذى يعد متغيرا معتمدا ، وليس متغيرا مستقلا ـ Brym) وذلك صورة اكثر من اعتمادا على الأصل »

ولعل كل تلك القضايا مثل تلك التى استمر كل من لاكير Laqueur وكوزر Coser فى صياغتها ـ انتكا نابعة من ذلك التسؤل الرئيسى الذى يبحث عن السبب الذين يجعل من المثقفين أحيانا ذوى اتجاهات راديكالية . والواقع أن هذا التساؤل يكشف عن تفكير ذى أفق ضيق . وكما رأينا فى الفصل الثانى أن راديكالية المثقفين هى ـ حقيقة ـ نتاج للحراك المعوق blocked mobility ، ونتيجة للمصادر الأخرى لظاهرة سوء التكامل مع الطبقات والجماعات المسيطرة ، وعندما يشير البعض الى المثقفين باعتبارهم أفرادا بلا جذور ، فان هذه الاشارة غالبا ماتكون انعكاسا للحكم القابع فى العقل . ولكننا يمكننا القول ـ على وجه الدقة ـ ان راديكالية المثقفين قد أضحت أكثر تطورا واوسع انتشارا وذلك لسببين : **الأول** أن عدد مثقفى مدينة فيمار Weimar الذين كانوا بلا طبقة كان ـ اى هذا العدد ـ ضخما . السبب **الثانى** : يرجع الى الأحداث الخاصة بمرحلة الكبت الكبير او العظيم (Kater, 1975 ; Laquer, 1972, p. 226 ; 1976, pp. 17, Great depression 220-1, 257-8).

ولذلك ، فاننا ينبغى أن نعى تماما ذلك الشغف والافتتان بتلك الظاهرة . ولكننا اذا ما ركزنا الانتباه على الأسباب الخاصة بالنزعة الراديكالية فقط ، فاننا نكون بذلك قد قصرنا اهتمامنا على احدى المراحل الخاصة بمسيرة الحراك الكامل الذى اتبعه المثقفون ، ولكننا اذا ماكان تركيزنا يتحدد خلال الطريق الخاص بالحراك الكامل للمثقفين اعتمادا على الأصول المتغيرة

او الجذرية المتغيرة لهؤلاء المثقفين فى البناء الاجتماعى ، فاننا بذلك لانكون مجرد مفسرين للظاهرة الخاصة براديكالية المثقفين ، ولكننا سوف تكون لدينا القدرة ـ أيضا ـ على تفسير ظاهرة الانشطار أو الشقاق الأيديولوجى بصورة متكاملة ٠

ولعله من العسير علينا ـ وفقا لذلك ـ أن نزعم أن المثقفين هم جماعة بلا طبقة ، أو بصورة أكثر عمومية جماعة بلا روابط اجتماعية Socialties ٠ وليس مهما أن كان المثقفون يقعون ـ بصفة ساسية ـ فى الطبقة الوسطى أو الطبقة العاملة بالنسبة للمجتمعات المتقدمة صناعيا ، أو كانوا يحتلون موقعا داخل الطبقات الحاكمة فى المجتمعات النامية ٠ وخشية أن يظن القارىء أن هاتين القضيتين متناقضتان ، أود فى الفصل الخاص بتلخيص افكار هذا الكتاب ، أن أعرض تلخيصا للنقاط الاساسية ، وذلك بالعودة الى التساؤل الذى بدأت به وهو : « **أين يقع المثقف على سلم البناء الاجتماعى ؟** » ٠